رأفةً بالعقل

بقلم محب الحرية

بدأت العمليات الحربية ضد أفغانستان من اجل "حرية بلا حدود" كما أعلن الرئيس بوش، وهو عرَّف الإرهاب طبقاً لمعايير أميركية تتناسب مع مصالح الغرب ومن ثم أمر دول العالم اجمع أن تتقيد بهذا التعريف وتحدد مواقفها، مع الولايات المتحدة أو ضدها.

من المؤكد أن هناك أموراً كثيرة تغيرت في العالم عقب أحداث ١١ أيلول فرضت وضع حد للإرهابيين كافة وبسرعة. ولكن لماذا اختارت الولايات المتحدة محاربة مجموعة واحدة من الإرهابيين فقط ممثلة ببن لادن وأفغانستان. لماذا غطت الطرف عن الأنظمة الإرهابية التي ترعى وتمول وتدير المنظمات الإرهابية منذ عشرات السنين. أنظمة معروفة للقاصي والداني وواردة على قائمة الدول التي ترعى الإرهاب وفي مقدمها سوريا؟

إن تنظيم القاعدة الذي يرأسه بن لادن لم يكن يوماً تنظيماً مستقلاً عن محيطه، بل هو وليد أصولية عرفت طريقها إلى قلوب الفقراء والمهمشين والمضطهدين في دول الشرق الأوسط وبعض الدول الإسلامية. كان بإمكان بن لادن أن يوظف ثروته الهائلة لتحسين الوضع الاجتماعي والثقافي للشعب الأفغاني، لكنه لم يفعل لعلمه الأكيد أن الأصولية لا تنمو إلا في أجواء الحقد والكراهية، فعمل على خلق هذه الأجواء.

أما المريب في قضية بن لادن فهو سماح دول الغرب له ومنذ سنين ببناء مؤسساته والتغلغل في المجتمعات العربية والغربية دون أية عوائق تذكر؟ لقد كان هنالك تلاقي مصالح بين بن لادن وواشنطن فتغاضت أكبر دولة في العالم عن أنشطة هذا الأصولي حتى بدأ يتحداها ويهدد مصالحها فقررت وضع حد لمملكته حفاظاً على مملكتها.

في العام ١٩٩٠ ارتكبت واشنطن نفس الخطأ المميت الذي ارتكبته في قضية بن لادن وذلك بسبب تلاقي مصالحها مع مصالح النظام السوري. فلم تمانع أن يمارس هذا النظام إرهابه ضد لبنان باقتحام مناطقه الحرة، إسقاط حكمه الشرعي وتنصيب حكم تابع له. لقد قايضت واشنطن دمشق على لبنان مقابل مشاركة الجيش السوري الصورية في الحرب ضد العراق. بنتيجة التراخي الأميركي وتفضيله مصالحه على ما عداها تمكن النظام السوري وبشكل علني من أن يصبح الحامي الأول لعدد كبير من منظمات الإرهاب، فيما اكتفت واشنطن بوضع هذا النظام على قائمة الدول التي تمول الإرهاب وتابعت التعامل معه كدولة فاعلة في المنطقة دون أية إجراءات رادعة.

إن التغاضي عن الإرهاب خطيئة كالإرهاب عينه، وتوجيه الحرب الأميركية اليوم ضد بن لادن وأفغانستان فقط والتحالف مع نظام كالنظام السوري لا يمكن تفسيره إلا في إطار

المصالح الأميركية الهادفة لبسط سيطرت واشنطن وحلفائها الغربيين على بلدان أسيا الوسطى. فكما أن الحرية بلا حدود ، فالعنف والإرهاب هما أيضا بلا حدود.

ليس للأصولية ديناً أو موطناً فهي قد تكون إسلامية، مسيحية، بوذية أو صهيونية لا فرق. أما أعمالها فدائماً نتيجتها الإرهاب والقتل والاضطهاد والتنكيل وكبت الحريات، وهـــذه كلـــها لا يمكن حصرهما في بلد معين أو منطقة محددة. الخطير في الوضع الراهن هو إعطاء الإرهاب وجهاً معيناً قد يتغير ليصبح قناعاً لأنظمة ودول أخرى ونافذين من الممكن أن يستغلونه لخدمة مصالحهم الذاتية على حساب القيم والحريات وحقوق الإنسان.

وأخطر من الإرهاب المسلح هي الفتاوى الدينية التي تحلل الجريمة بحق المدنيين والتـــي لا يقتصر أمرها على الأصوليين من الإسلاميين بل تشمل أيضاً رجال دين مســـيحيين ويـــهود وصل الأمر بأحدهم (راهب لبناني أنطوني في تورنتو– كندا) اتهام أبناء رعيتـــه بالإرهـــاب لأنهم يعارضون أراءه السياسية فقدم التقارير الكاذبة بحقهم للسلطات الأمنية وراح يحـــرض الكنديين للانتقام منهم عبر الإذاعة الكندية.

إن أوجه الإرهاب متنوعة ومتعددة ونحن في لبنان نعاني من ويلاتها بشكل يومي منذ العـــام ١٩٩٠ حيث يقوم الحكم بدور بن لادن ويمارس كافة وسائل التنكيل ضد الأحرار من أبنـــاء شعبه. ألم يكن بإمكان صدام حسين إنقاذ الآلاف من العراقيين لو أن في نظمـــاه شـــيء مـــن الإنسانية؟ ألم يكن بإمكان شارون توفير سفك الدماء على الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي لـــو لم يقوم منذ عام بتلك الزيارة الشهيرة إلى الأقصى؟ نسأل لماذا يصمت العالم عن جرائم النظام السوري المستمرة منذ ٣٠ سنة؟

يمارس الحكم في لبنان بدعم من النظام السوري الإرهاب الجسدي والنفسي والأخلاقي تحـــت شعارات حق يراد بها باطل ويمنع ممارسة المواطنين لكل أشكال الديموقراطية والحرية. بـــن لادن ليس الإرهابي الوحيد في عالمنا اليوم فالكثيرين من طاقم متولي حكم لبنان كما بعـــض أصحاب الجبب والعمائم والسياسيين هم من بالإرهابيين.

فرأفةً بالعقل لا تعطوا الإرهاب ديناً معيناً أو هوية محددة!